

خطاب صاحب الجلالة
بمناسبة عيد الشغل

الحمد لله   والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

شعبي العزيز

سيحتفل العالم أجمع غدا بفاتح ماي، بعيد الشغل، وإذا حق لأمة ان تحتفل بعيد الشغل وتبجله وتعظمه وتكرمه فهي الأمة الاسلامية، ذلك أن قوامها وأخلاقها وسلوكها كل هذا مبني سواء في القرآن في السنة على الشغل والأشغال والعمل والتعامل، انها ديانة جاءت تقول : لارهبانية في الاسلام، وانها ديانة يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : وقل اعملوا فسيرى عملكم ورسوله والمؤمنون، ديانة روي فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث، أحاديث تكرم الشغل والمشتغل والشغال، أحاديث تبجل وتعظم كل من عمل فتعامل فأصلح بالعمل مجتمعه وأسرته، والاحاديث في هذا الباب كثيرة، سأكتفي باثنين منها.

النبي يحث عن الشغل

في حديث صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بالمسجد المدني عدة مرات، وكلما مر به رأى رجلا يتعبد ليل نهار، وبعد بضعة أيام سأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال : من يعول هذا الرجل، فقال له أصحابه يعوله أخوه، فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم : والله أن أخاه لأعبد منه، ثم كرر والله إن أخاه لأعبد منه، ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حث على الشغل وعلى اكتساب القوت بالعمل والاجتهاد تاركا لله ماهو لله، وموجبا على الانسان ماهو واجب عليه نحو نفسه وأهله وأسرته ومجتمعه وبلده وبالتالي و لم يكتف الاسلام بتبجيل وتعظيم الشغل بل جاء باحترام الشغالين وبدفع أجور تناسب الكرامة البشرية وتناسب حاجاتها وتناسب الذي يدفع لهم أجورهم، ونرى ذلك في الحديث النبوي لأولائك الثلاثة الذين دخلوا غارا فسقطت عليهم حجرة كبيرة فسدت عليهم الباب، فصار كل واحد منهم يستغيث بما أتاه من عمل صالح، فقال الثالث : اللهم إنك تعلم انه كان لي رجل أو كما جاء في الحديث أنه كان لي خادم يخدمني وكنت أدفع له أجرته فإذا به فارقني فصرت أنمي له أجرته فاشتريت له بها شياها وإبلا، فبعد سنين رجع الى ذلك الخادم فقلت له هاك خذ هذه لك، فقال كيف ؟ واندهش فقال له ان هذا مالك جمعته لك حتى جعلت لك رأس مال، أو كما جاء في الحديث، وزاد الرجل وقال : اللهم إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك ومرضاتك ففرج عنا مانحن فيه من كرب، فانفرجت الكربة وفتح الغار وخرج الجميع.

الشغل والجد والاجتهاد

وهكذا ترى شعبي العزيز أن الاسلام، ديننا الحنيف، جاء يبني سيرته على الشغل والكد والاجتهاد، ولست في حاجة إلى أذكرك شعبي العزيز أننا نعيش في المنتصف الأخير من القرن العشرين، وأننا نقول ونذكر دائما سنة 2000 ونسي أن أولادنا سيكونون كهولا ورجالا في سنة 2000.

الأطر والرجال والعقول

ولايمكننا ان نعيش أو ان نساير الحياة في سنة 2000 إلا إذا جندنا من الآن كافة طاقاتنا وقوانا لنبني

مستقبلنا بسواعدنا أولا وخيراتنا ثانيا ولكن على أساس ان نجعل هذا البناء على قواعد أهم من السواعد ومن الخيرات ألا وهي الأطر الصالحة والرجال الكادحون والعقول المفكرة.

إنني لا أنسى ان في سنة 1955 وبالضبط في العشرين من شهر مارس تكونت لأول مرة في تاريخ المغرب النقابة الأولى للعمال في المغرب، وحينما أصدرت الصحف ذلك الخبر وقرأناه ونحن بالمنفى صرنا نحلل ـــ أبي رحمة الله وخادم امته هذا ـــ التبعات والعواقب لهذا النشيء الجديد ولهذا الخلق الجديد، فوصلنا الى النتيجة الحتمية، وهي ان تنظيم الطبقة العاملة وتجنيدها سوف يكون عاملا آخر قويا صحيحا ومتينا في تحرير المغرب واسترجاع سيادته وكرامته، وكذلك كان ولله الحمد، فلم تكتف الطبقة العاملة اذ ذاك بالتكتل والتجنيد، بل خاضت معركة أخرى ربما نسيها كثير من الناس، وأريد هنا أن أذكر بها الشباب الذين لم يكونوا ليعلموا تلك المعركة ولا ليطلعوا عليها، لأنها كانت معركة في الظلام معركة متسترة، ولكنها خطيرة.

نقابة وطنية

إننا نذكر أن في وقت الحماية لم يكن للمغاربة الحق في تكوين النقابات، وإذا أراد أحد منهم أن ينخرط في سلك نقابة لم يترك له إلا مجال واحد، وهو الانخراط في نقابة فرنسية، وإذ ذاك كانت تحاول النقابة الفرنسية الشيوعية (س . ج . ت.) وتعمل بالليل والنهار ظاهرا وباطنا لتجلب إليها أكثر مايمكن من المغاربة، وإذ ذاك أحس الناس بالخطر مثلما أحست الاطارات النقابية الجديدة، فصار الجميع يغزو غزوا آخر، غزوا فكريا ومعنويا، غزوا مغربيا حقا حتى يمكن انتشال أولئك المغاربة من يد منظمة أجنبية لها أفكار ومبادىء مخالفة للاسلام ولروح المغرب، ويلحقونهم بنقابة وطنية حقة تتسم بسمات المغرب قديمها وحديثها.

العمل النقابي والاطار السياسي

ولذا أريد أن أتجه الآن الى الاطارات النقابية كما سبق لي أن اتجهت الى الاطارات السياسية في بلدي هذا فأقول لهم : إذا طرأت أحداث على الاسرة النقابية والعمالية فليس معنى هذا أن وحدة الصف بين العمال وبين الشغالين قد انثلمت، بل ان هذه الوحدة يجب ان تلتحم لا في إطار شكلي فقط، بل وحول مبادىء وأهداف ومقاصد وتحليلات للواقع، على الأسرة النقابية كيفما كان اختلاف منظماتنا أن تفكر في إطاراتها وفي رفع المستوى الفكري لمكاتبها وتنظيماتها، عليها ان تعني قبل كل شيء بالمسائل السياسية والاقتصادية، حقا إن القانون يقول إن النقابات لاحق لها إلا في الدفاع عن حقوقها المعنوية، فهل معنى هذا أن يمنع على الجميع أن يهتم بالمسائل الأخرى ؟ ألا وهي الحياة اليومية والمسيرة السياسية؟ لا، ولم يجعل القانون ولا فلسفة القانون من الشغالين صنفا خاصا من المواطنين.

وقد يكون من ضرب الخيال أن يقول البعض إننا لانهتم بالمسائل السياسية ولادخل لنا في هذا الشأن، نحن ندافع قبل كل شيء عن الحقوق النقابية، ذلك لأن كل تنظيم أو نشاط نقابي وكل دفاع عن الاجتماعية والاقتصادية مناط بالاطار السياسي الذي يكون فيه ذلك النشاط بتنظيم السلطة وبالدستور وبالمبادىء الاساسية التي بنينا عليها تعاملنا أفراداً وجماعات، لذا قد يكون من السهل أن يتستر أي مسؤول في إطار نقابة كيفما كانت وراء هذا العذر كما انه سيكون من الخطر كل الخطر ان تعطي الاطارات النقابية لمطالبها صبغة سياسية، ذلك ان عملها هذا يمكن ان يزج بمن يتبعها في اضرابات متلاحقة وديماكوجية ومزايدة تعوق الجميع عن العمل وبالتالي تعوق البلد عن السير قدما في طريق التجهيز.



حاجتنا الى التفكير والتخطيط

وعلينا ثانيا أن نعلم جميعاً ان النسل المغربي يزداد كل سنة، وأن حاجياتنا من السواعد العاملة والأدمغة الرصينة المفكرة متزايدة كذلك سنة بعد سنة، لأن الحاجيات كما قلت سابقا لا تفتقر إلى سواعد ولا الى ثروات جديدة، بل تفتقر قبل كل شيء الى تفكير سليم ورصين وإلى تخطيط متقن.

وإذا كان التخطيط المتقن يتطلب من الجميع أن يقوم باحصاءات ترسم للدولة وللشعب التصميمات الاقتصادية والاجتماعية فعلى هذه الاحصاءات كذلك ان تقوم بدورها في تنظيم الحياة السياسية في البلاد.

مشاركة الجميع في الحياة النيابية

ذلك أن نشاطنا الاقتصادي والاجتماعي والتجاري والفلاحي مناط بطبيعة الحال بالاطار السياسي كذلك، فلا بد لنا إذن من الاحصاءات يمكننا ان نتعرف على الجميع وعلى سن الجميع حتى يمكن للجميع ان يشارك مشاركة فعالة ومجدية في الحياة النيابية لهذه البلاد.

وقد أظهرت الاحصائيات ان ما يزيد على مليونين من البشر لم يسجلوا انفسهم في اللوائح الانتخابية، وهذا من شأنه أن يعطينا جميعا حاكمين ومحكومين صورة خاطئة غير صادقة عن الحالة السياسية والتيارات الفكرية الموجودة في المغرب، ذلك ان مليونين من الاصوات أو مايزيد على ذلك شيء مهم بالنسبة للتخطيط والاختيارات، وبالنسبة لتكييف تلك المرآة التي نريد أن تكون لنا بمثابة النبراس الحقيقي الذي سنسير عليه في طريقنا.

إعادة النظر في اللوائح الانتخابية

لذا قررنا أن نعيد النظر في اللوائح الانتخابية، وأن يقوم الجميع من سكان وإدارة بما هو مفروض عليهم فرضا واجبا وطنيا واجتماعيا بتسجيل انفسهم من جديد في اللوائح الانتخابية.

المغاربة لايفرون من معركة

لايمكنني أن أتصور مغربيا كيفما كانت نزعته السياسية او انتماؤه الفكري سيتهرب من هذا التسجيل، لأن المغاربة لايفرون من معركة، بل المعهود فيهم أنهم يخوضونها بما هو مشروع من الاسلحة، فعلى الجميع إذن أن يقوم بتسجيل نفسه من جديد في بلده أو قريته أو مدينته.

وسيؤدي هذا طبعا إلى أننا سنؤجل الانتخابات وان البرلمان لن يفتح في اكتوبر، ذلك أن التوقيت والميقات شيء مضبوط جداً.

ولايمكننا أبدا ذلك إذا نحن أردنا أن نقوم بعمل متقن محكم وإذا أردنا أن تكون المجالس المقبلة المرآة الحقيقية وأن تقوم بدور الحكم بين السلطة التنفيذية وبين مطالب الأمة، وإذا نحن أردنا أن تكون لنا هذه الادارة الفعالة.

وإذا كنت أرغب شخصيا أن يكون بجانبي برلمان له ماله من صلاحيات له كذلك ما يجب أن يكون له من حسن التمثيل وصادق التعبير عن رغبات الشعب، فعلينا أن نقوم بعمل متقن وحكيم حتى يمكن للجميع ان يشارك في المعركة الانتخابية وأن يقول رأيه.



أفكار جديدة وروح جديدة

وليس في هذا التأجيل مايخالف نصوص الدستور مفهومها أو منطوقها، فالدستور يحدد ان البرلمان يفتح في الجمعة الثانية من شهر اكتوبر، ولكن لايقول من نفس السنة، وحتى لو قالها فربما قمنا باستفتاء جديد نطلب فيه من الناس ان يغيروا هذا الفصل نظرا لما نوليه من أهمية لعملية التسجيل وعمليات الاقتراع والانتخابات حتى لايمكن لأي أحد حسن النية كان أو سيئها ان يطعن في الناخبين أو المنتخبين أو في كيفية الاقتراع.

وهكذا يمكننا إذن أن نفتح باب الدستور الجديد بأفكار جديدة وبروح جديدة، ناسين ومتناسين كل ما قيل في الماضي وكتب، لأنه يستحيل على أية دولة ان تبني مستقبلها على الضغائن والاحقاد وعلى الارقام السلبية، إذ أن كل يوم فات يعد رقما سلبيا، وعلى كل أمة ان تبني مستقبلها على التسامح والتصالح وعلى الارقام الايجابية، تلك التي تؤتي أكلها وتعطي النتائج المتوخاة منها.

تهنئة لجميع العملة

ومرة أخرى أتوجه الى جميع العاملين ومن باب التبعية أتوجه الى جميع المغاربة لأنه ولله الحمد لايوجد في بلدي هذا الأ من يشتغل ومن يعمل، أتوجه لهم مرة ثانية بالتهنئة. كما اتضرع الى الله سبحانه وتعالى ان يعيننا جميعا ويقوي عزيمتنا ويسدد خطانا ويوحد صفوفنا حتى نظل سائرين في طريقنا هذا، طريق العمل والشغل والانتاج، الطريق البعيد عن التهافت، والطريق البعيد عن الترهات والخرافات، بل الطريق المساير لروح العصر وروح العمل، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيد هذا العيد وأمثال وأمثاله مرارا ومرارا وسنين وسنين باليمن والخير والبركة علينا جميعا.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بفاس

الأحد 16 ربيع الأول 1392 — 30 أبريل 1972